وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه
ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم
وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل
وبين ان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وانما كان التحرير لا
للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان تكون ذكرا فلما وضعتها
قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر
كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها
كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة او النفس او النسمة فان قلت
كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى
انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال
وذا الحال كشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله
تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة انثى فان قلت
فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الا هذا القول قلت قالته تحسرا
على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها
كانت ترجوا وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها
بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما للموضوع
وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما
علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك
لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على
خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم
شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر
كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع
والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام
فيهما للعهد فان قلت فعلام عطف قوله واني سميتها قلت هو عطف على
اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو
تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم
في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف
اتبعه طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من
الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها والله اعلم بصحته وان صح فمعناه ان
كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين
وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين

واستهلاله

واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب
بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي
لما تؤذن الدنيا به من صروفها ٭ يكون بكاء الطفل ساعة يولد ٭ واما
حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على
الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه
فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى
لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان
احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما
يسعط ويلد به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم
يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل
ان تنشا وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها
في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون
وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو
ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق
بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة
وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت
اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف
بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص
ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله
وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه
باوله وعنفوانه قال القطامي ٭ وخير الامر ما استقبلت منه ٭ وليس بان
تتبعه اتباعا ٭ ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها
حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة
العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن
وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى
وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها
من قوله تعالى اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها
على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعوا بذلك اي فاقبلها
يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا
في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم
تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج

Copyright King Saud University